

احتلال منطقة عموشة وتصاعد المقاومات الشعبية 1840-1920م



الدكتور: سفيان لوصيف
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

- الملخص: يتناول المقال لدراسة والتحليل ريف منطقة عموشة، ومواجهتها للاحتلال الفرنسي والذي وجد صعوبات كبيرة في التوغل بفعل المقاومة العنيدة والمستميتة، وهذا عتزازهم بصعوبة المهمة التي أسندت لهم لإحكام القبضة على عموشة، والتي لم يستطع جيش الاحتلال القضاء عليها نهائيا وفرض السيطرة على المنطقة إلا بعد ثورة المقراني سنة 1871، ورغم ذلك استمرت بشكل آخر خلال فترة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، أو ما عرف باسم مقاومة عصاة الشرف، في شكل أفراد وجماعات وقفوا في وجه الاستعمار الفرنسي، وقد خصص الفرنسيون حيزا في كتابهم عن هذه المنطقة، من عسكريين ومتصرفين إداريين ومؤرخين تعد اليوم مصدرا لكتابة التاريخ خلال الحقبة الاستعمارية، وهذه صورة عامة أوجزها في هذا الملخص والتي أفصلها لبحث المعمق والمفصل كما هو آتي.

Résumé: L'article étudie et analyse l'Histoire de la région des Amouchas, et la façon dont elle fit face à la domination et aux attaques incessantes des français, dirigées contre elle, ceux-ci ont rencontré de grandes difficultés d'y pénétrer à cause de la résistance farouche et opiniâtre, avec une incroyable vitalité; tout en reconnaissant la difficulté de la tâche qui leur était assignée pour resserrer l'emprise des Amouchas; et que l'armée ne pouvait éliminer complètement et imposer son contrôle dans la région qu'après la révolution d'Elmoukrani en 1871. Bien qu'il n'ait cessé de continuer dans une autre façon au bout de la période du 19^{eme} siècle et au début du 20^{eme} siècle; ou ce qui était connu sous le nom des «insoumis de l'honneur» composés des individus et des groupes qui luttent contre le colonialisme. Les français comme les militaites,

administrateurs et Historiens ont consacré une grande partie dans leurs écrits en parlant de cette région. Aujourd'hui leurs écrits et témoignages sont considérés comme étant une source inédite dans l'écriture de l'histoire coloniale. Ceci est une image générale que j'ai esquissé dans ce résumé et que je vais la détailler par la recherche approfondie qui suit.

احتلال سطيف التي لا تبعد عن عموشة سوى 25 كلم.

الاهتمام الفرنسي بمنطقة عموشة:

ولمّا هذا الوضع المتزدي لحاسكان الغرب الجزائري إلى الشيخ محي الدين، يطلبون منه توليه الحكم وقيادة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي وإعادة الطمأنينة والاستقرار، ورفض لأنهم كان يدرك أنه غير قادر على ذلك، فلأشار عليهم بتولي ابنه عبد القادر الذي يمتلك صفات رجل الدولة لإضافة إلى تدنيه العميق مثلما أظهر براعة فائقة في القتال³.

ورحب السكان بفكر قتولي عبد القادر الإهارة لكن هذا الأخير لم يقبل إلا بعد مبايعته من طرف السكان بمقتضى ذلك يوم الاثنين 27 نوفمبر 1832، والتي عرفت في المصادر لبيعة الأولى، وقعت بيعة غنية وهي البيعة العلفة من مختلف القبائل في قصر الإمارة بمعسكر في 4 فيفري 1833، وكلنت قبيلة عموشة من بين المبايعين للأمير عبد القادر، ورغم بعدها عن الغرب الجزائري فلها يعبته على حساب أحمد ي في قسنطينة⁴.

وعن مبايعة منطقة عموشة للأمير عبد القادر وبقية مناطق الجزائر والتي أرتخها الشاعر بن عبد سنة 1837، نذكر منها الأبيات التالية المقطوفة من قصيدته الطويلة والمكتوبة لشعر

ظلت منطقة عموشة ممتنعة عن سلطة قسنطينة وهذا في أغلب فترات الحكم العثماني، فكونها محاطة لجبال من كل الجهات استعصى على الأتراك للتحكم فيها، وكلنت الأعراش الممتنعة في شبه لستقلال، فلم تكن لها علاقات مع لأمع الحكام الأتراك إلا دراء، ولا تتصل بسلطات البليلىك إلا عند تعرضها للحمالات الفصلية التي تقوم بها الحلة المعززة بفرسان المخزن في فصل الخريف والربيع في كل سنة، وبغم ذلك لا يدفع سكانها الضرائب إلا في جهات محدودة حدا، والتي يسهل اختراقها خاصة المستقرين في السهول، ورغم تعيين الأتراك قليد عموشة لكن سلطته كلنت معلمة، ولم يستطع الاستقرار والتحكم فيها¹.

وبعد الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر سنة 1830، وانهارت المقاومة تعهد القلئد العام للجيش الفرنسي في وثيقة الاستسلام التي وقعها الداى حسين في بندها الخامس الذي ينص على أن "تبقى ممارسة السنة المحمدية حرة، كما أنه لن يقع أي اعتداء على حية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأملاكهم وتجارهم"²، شرع الجيش الفرنسي في النحف لاحتلال البلاد كلها فبدأ لادن الساحلية، ولحاً جيش الاحتلال إلى التقتيل والنهب، والتوغل نحو لاحتلال مناطق الداخل والهضاب العليا، ومنها

الشعبي المالحون، وقد ذكر فيها لسم عموشة مرتين، يقول:

صال الدهر عليها انطوت عليها السنين
 دقت مع الأيام خبرها غاب
 ما تحصيلها إلا قليل مالمولعين
 قصة بن محي الدين مير الأعراب
 حين كبر محي الدين شيخ الأعراب
 أعطاه السر وطلبه لمزم
 نصره لعرلها ويعوه الأنخاب
 قضيا ومفا شيوخها وعالم
 من الغرب إلى ملينة للملية

وسير عشر مع القلعة لبوسعادة
 أوزلاقن الشجعان للشناء طائقين
 وتسيمست إيفاجوا كل كربة
 مزاية وبوسلام أخصلم شايعين
 ونحوع عموشة انولول الغلبة
 لو نحكي لك عالي طرى وما
 صار غزوات كثيرة ما نطيع نحسب
 أنجوع المهمة والجاه والشنا والجهاد
 هم هذه للبيداء أضحات عامر
 ودرقاوة وشعانة وعموشة والأجاد

وبني سيدي يحيى مع أولاد عسكر⁵
 ولثناء احتلال منطقة سطيف سنة 1840
 من قبل القوات الفرنسية، كلنت قبيلة عموشة
 مشكلة من مجموعات سكانية لا تجتمع إلا
 للدفاع بجسارة عن استقلالها ضد الأتراك الذين
 حاولوا إخضاعها لسلطتهم أو الفرنسيين الذين
 اقترحوا من المنطقة، وحينها فكرت الإدارة
 الاستعمارية في تنظيم الجهات المحاورة لسطيف،
 وتعيين القياد من الذين كانوا بمثابة حليلا
 لحملتها، وقد موها للدعم وحشدوا أتباعا
 خدموا الجيش الفرنسي، وكلنت السلطة

الاستعمارية محبرة على استعادة التنظيم العثماني
 حتى تكون سيلستها جعة، ولم يتأخر سكان
 عموشة في فهم ذلك، فعندما قدم ابن الحاج
 إلياس للدعو علي بن الخادم لقبض الضرائب
 اغتله أهالي عموشة بعين السلطان التي تعرف
 سم الماعلي حاليا⁶.

وتم تعيين بلقندوز مكلنه فقام بمحولة للنزول
 من جبل مقرر بقوة عسكرية تجاه بوشامة
 لكنه أحبر على التراجع ورفض س عموشة
 دفع الاشتراكات الحربية، وعزل من منصبه و
 عين بعده القليد سعيد بن عبيد مكلنه، ولحه
 الاحتلال الفرنسي مقاومات عنيدة وحادة منذ
 محاولاته للتقدم والتوغل في عموشة، وقد كان
 سلاح المقاومة متمثلا في الصناعة التقليدية
 والأسلحة البيضاء.

حاولت سلطات الاحتلال الفرنسي فرض
 السيطرة المطلقة على المنطقة وتضييق الخناق
 عليها بدءا بحتلال مناطق واقعة في عمق الجبال
 على غرار السيطرة على أولاد صالح ولبابور
 (التي أصبحت بعد سنة 1902 تعرف سم
 وادي البارد) فشن الجنرال بلندون حملته
 العسكرية عليها سنة 1853⁷ ورغم ذلك
 بقيت هذه الجهات تقاوم المحتل في ثورات
 1864 و1871.

وبقيت المقاومة مستمرة رغم محدودية
 إمكانياتها وتفوق العدو في العدة والعتاد، مما
 عقّل زحفه إلى مواقع المقاومة والمركز التي
 تنطلق منها، وكلنت المقاومة تتسم سلوب
 الكر والفر وتنوع الأساليب وانتهاز الفرص
 للإيقاع بالعدو الفرنسي وإلحاق الخسائر
 الفادحة في صفوفه، وكثيرا لما كلنت تعتمد
 ظلام الليل لتتقض على جنوده الرابضين في الخيم

التي ينصبوها، فيضعون فيهم السلاح الأبيض طعنا و ذنبا بصورة بليغة، بينما يتنقلون غارا في انسحات منظمة، و يكون أسلوب إطلاق النار محدودا لتوفير المؤونة التي يحتاجون إليها وطبعاً إعادة الكرة مرة أخرى.

وتمكن القائد سعيد بن عبيد من حشد الكثير من الأتباع و المعادين لعموشة و تمكن بكثرة العدد من إلحاق الهزيمة بها، و رغم ذلك لم يظهر سكان عموشة الطلعة للفرنسيين، و اضطرت السلطات الاستعمارية إلى تعيين قليل خاص بعموشة وحدها سنة 1851، و وضعت تحت قيادة منصور بن عبيد، و في سنة 1856 حاولت فرنسا من جديد ضرب قبيلة بني مرعي كما فعلت في سنة 1850، لكنها كانت عملية بطيئة مما مكن قبيلة بني مرعي من أخذ الوقت الكامل لتزود سلاح و استطاعت دحرت القوات الفرنسية التي هاجمتها⁸.

ولستغل سكان عموشة فشل الفرنسيين وهاجموا قواهم التي أهلكها التعب و كبدها خسائر كبيرة كما عبر 'Manuel Bugeja' عن ذلك، و هذا النجاح ولد للثورة في حبال بور و عند سكان عموشة بمحاولة أخرى لضرب للقوات الفرنسية، فكبدوها خسائر في موقعة سيدي عطية في سبوكة الشيء الذي جعل سكان عموشة يدخلون في التمرد، فتم تجهيز قوة فرنسية جديدة انطلقت من سطيف و لم تستطع قتلئة الأوضاع من جديد إلا بصعوبة، و تم إعادة منصور بن عبيد إلى منصبه قليل على عموشة⁹.

وماعزز المقاومة على المواصلات و الصمود الإعلنة التي تتلقاها من جماعات المقاومة في أولاد صالح و بور التي تتوزع على مختلف

للمناطق المحاورة و الأماكن الاستراتيجية المتخذة لنفس الهدف، و هذا لما صعب على الاحتلال الفرنسي فرض السيطرة على هذه الجهات، و عطل احتلالها و للتحكم فيهلدة زمنية طويلة، فشكلت هذه الجبهة المتحدة صعوبات أمام تمكن النفوذ الفرنسي في المنطقة.

بناء برج تقيطون:

لمراقبة السكان المتمردين قلعت السلطات الاستعمارية ببناء برج تقيطون و إقلمة حصنا عسكري لمنطقة، و إنشاء مكتب عربي، خاصة بعد سيطرة الجيش الفرنسي سنة 1956 على منطقة بور تحت قيادة الجنرال 'ملسيا'¹⁰، و بعدما تم التردد بين الأماكن ذراع القليل، برس، عين السلطان (الماعلي)، لستقر الاختيار على قيتون، و تم بناء البرج سنة 1856 من طرف الجنود أنفسهم و خصصت له ميزانية إضافية¹¹.

ولأهمية برج تقيطون عسكري طلب وزير الحرب معلومات توضيحية حوله، فأرسلت رسالة إلى العقيد مدير الحصون العسكرية في قسنطينة حياء فيها "طلب السيد وزير الحرب معلومات حول برج تقيطون، أطلب من قائد الهندسة بسطيف بكتابة مذكرة في هذا الموضوع، لتزويده بمعلومات حول بناء هذا البرج و الظروف التي أدت إلى تشييده، و يقيم قائد الهندسة أهمية البرج عسكري و موقعا، للنظر إذا كان لإمكان الاحتفاظ به فيما بعد، و إذا استطاع قائد الهندسة إدراج مركز تقيطون، يجب عليه تحديد أهميته كبرج دئم، مركزا على ترميمه و تحسين صورته و توسعته، مع تحديد لاستعمالات هذه الأماكن"¹².

وعلى سبيل المثال فإن الموقع الذي تمركزت

فيمقات الاحتلال بقوة هو الهضبة المعروفة بتقيطونت، وهذه الأخيرة اتخذها الاحتلال كمركز قرار مكتمل الجولب العسكرية وحتى المدنية و الإدارية، فقد لستوطنها مختلف المعمرين للذين كانوا في الحقيقة من جماعات المرتزقة الأوروبيين، وكانت لها مختلف المصالح قبل تنقل هذه المرافق الإلوية الاستعمارية إلى عين الكبيرة (Périgoville) والتي أصبحت مقر بلدية تقيطونت المختلطة (Commune mixte de Takitount).

ثورة 1864 في عموشة:

خلال سنة 1864 تسارعت الحوادث اندلاع ثورة لكاد تكون عمت مقاطعة قسنطينة، وانتشرت في فرحية، قبلل جيحل، بور، أولاد ساحل بني مغي، بيغة، فكلنت هذه المناطق في أوج للثورة و الانتفاضة، لمبع فروع من عموشة، أولاد حمزة، أولاد خلف، أولاد عيسى، وقاب أعلنت العصيان و لم يتولوا في الانضمام للثورة¹³، كما انضمت للثورة قبلل و جهات أخرى مما جعل السلطات الفرنسية عاجزة عن القمع السريع و إخماد لهيبها، خاصة مع وصول معلومات للفرنسيين تشكك في الأشخاص الأكثر اخلاصهم، فكان الإجراء الوحيد كما يقول Manuel Bugeja المتخذ هو ضرب الثورة و معاقبة المتمردين عقاب قلبي يتذكرونه طيلة حياتهم¹⁴.

وما ساعد السكان أكثر على الانتفاضة هو فصل الشتاء وعدم مقدرة للقوات الفرنسية في الرد، فاجتمعت سكان و دولوير و أعراش عموشة لمهاجمة برج تقيطونت، و لم ينسحبوا إلا بعد أن تكبد الفرنسيون خسائر كبيرة و أسروا معهم الضابط هارينين 'Hernian' و قطعوه

إلى أطراف و دفن هناك أسفل برج تقيطونت¹⁵ سنة 1865، و لا يزال قبر الضابط العسكري ماثلاً للعيان في سفح هذه الربوة العالية، والذي سقّف لاستننت المسلح سجلت عليه كتاب تشير إلى اسمه و رتبته و لا يزال إلى يومنا هذا.

وبعد هذه الإنجاز المحقق ميداً ر سكان عموشة من المحتل وهاجموا مصالحه و أعولنه، و يذكر ذلك 'Manuel Bugeja' قائلاً: "أن سكان عموشة أعجبا نتصارهم و لسترجاع لستقلالهم، فكان يقومون عمال تخريبية ضد مصالحنا، و عبروا عن الكره الشديد للسلطات الفرنسية فانطلقوا في الأر ف و أفروا المخازن و هبوا للمنازل، و اقتسموا الغنائم فكلنت هناك صراعات و نزاعات داخلية فيما بينهم"¹⁶.

ومع قدوم فصل الربيع أصبح الطريق سهلاً للتوغل فقلعت للقوات الفرنسية تحت قيادة الجنرالين بيقو 'Périgot' و أويرو 'Augeraud' بقمع التمرد، و كلنت قوات الجنرال أويرو قد عسكرت في المرواحة، وانضمت إلى قوات الجنرال بيقو التي تقدمت من بور و بورت، فاستسلم سكان عموشة للجنرال أويرو، وسلموه البهائن و تم اعتقال قادة التمرد سنة 1865 حسب ما يذكر Manuel Bugeja، و دفعت خلالها قبيلة عموشة ضريبة الحرب، و خلال فترة 1865 و 1867 أحدثت الإدارة الفرنسية نوعاً من الاستقرار في المنطقة، والذي كان في صالحها قبل أن تخوض حر ضروساً مع ألمانيا¹⁷.

عموشة مجالا لثورة المقراني والشيخ الحداد 1871:

كان لزلوية الشيخ الحداد لتباع و ميدين كثر و في مختلف المناطق منها عموشة، و حين

أعلن الشيخ الحداد من صدوق للثورة في 08 أفريل 1871 لجأت جماهير للناس بنداء الجهاد أفولحا و جماعات و دون صعو تمتذكر، خاصة منطقة عموشة التي عرفها ابنه سي عزيز¹⁸ عن قرب وعاش فيها حين كان قليد عليها وقد استقال من المنصب سنة 1869، وكان هذا الأخير علما على الدعم الذي سيقدمه لتباعد الطريقة الرحمانية في منطقة بوز و فرجية و جيجل¹⁹.

و لكن و في نفس الوقت هناك معارضين شوسين لهم من عائلات مولية و متعلنة مع الإدارة الاستعمارية على غرار علثلق بن حبيس في بني عزيز، و قبيلة أولاد بت (عين عبلسة) و الدهامشة و بعض الفروع بسطيف و أولاد علي بن صر الذين كانوا تحت قيادة الدواوي بن كسكاس و للزروق بن يلس و غيرهم من الذين وقفوا ضده و كانوا سببا في هزيمته²⁰.

بدأ سي عزيز رفقة أخيه في حشد الأتباع وتنظيمهم وأمرهم ببيت الدعية الواسعة وكلفهم شغال للنيران في اللتال و المرتفعات لإبلاغ المريدن و الأتباع ببداءة الثورة، وأرسل ممثلين عنه لإبلاغ كل الجهات بنداء الشيخ الحداد لانضمام إلى للثورة، وبعدها سار سي عزيز بجنده إلى عموشة ليحيط أتباع المقراني لأحداث الجليلة والمستجدات، ويتدارس معه الخطط الحربية في مناطق تقيطون التي كان بومزراق أخ الباشا المقراني يقود فيها العمليات الحربية²¹.

وأراد سي عزيز أن يجعل من عموشة الخليفة له منطلقا لخوض الهجمات على المناوئين له، فذهب إلى أولاد صالح و هناك سبب لموره و نظم جنده، و اتجه في 30 أفريل 1871 بصحبة صهره و بعض أعيان عائلة المقراني و

زعماء المنطقة للهجوم على برج القليد بن حبيس في نواحي بني عزيز، و ذلك لتسهيل عملية السيطرة على سطيف من كل نواحيها، و لكن ذلك ليس لأمر الهين لأن القليد بن حبيس حصن برجه، كما أنه استدعى أخوه القائد عمر بن حبيس و معاونيه من بني فوغال لقتال سي عزيز، و لتالي عجز هذا الأخير في اقتحام حصون بن حبيس²².

و في يوم 05 ماي 1871 حقق سي عزيز انتصارات على بعض خصومه من القياد للوالين لفرنسا خاصة في أولاد عدوان و أولاد علي بن صر، لكنه في يوم 10 ماي ما فتئ أن تراجع إلى عموشة تحت ضرت القليد للدواوي بن كسكاس، و في يوم 11 ماي توجه نحو تقيطون و كان جنوده منهارين و مرهقين من شدة التعب.

وحاول الفرنسيون لاستغلال الفرصة للسيطرة على المنطقة فتقدم الفيلق الثاني للرملة تحت قيادة الرائد ستيدون إلى أولاد صالح (وادي للبارد) ولستقر في مكان، لكن بمحرد مكوثهم أحاطهم السكان بقوات كبيرة و حاصروهم و فقد الجيش الفرنسي عددا من جنده، و لم يفك الحصار إلا بمشقة كبيرة و خسروا عدد من القتلى و 20 حريق، و لم يتمكنوا من التراجع نحو الخلف إلا بعد إرسال فيلق على جناح السرعة للذي فك الحصار المضروب عليهم، و رغم ذلك قتل منهم لثنين و حرق 14 آخرين من بينهم نقيب و ضابط، و قد حياهم الجنرال سوسي على نجاحهم وعودتهم أحياء من وادي للبارد و على روح شجاعتهم²³.

وقد ساعدتهم على ذلك معرفتهم الجيدة بطبيعة التضاريس التي ألفوها و عاشوا في ثناها،

كانت فيه قوات أولاد صالح تطلق النار عليهم و استولوا عليه²⁵.

وكان يوم 25 ماي يوما حاسما بوقوع معركة متانو الكبرى، و كلنت بدايتها بحوم السكان بقذائق للنيان على موقع الفرنسيين من مسافة بعيدة، فأرسل الجنرال خمسة فيالق وستة قطع مدفعية وثلاثة كتائب لاحتلال كلل مرتفعات متانو و مراقبة أولاد صالح، ويذكر لويس رين ' Rinn Louis ' أن السكان حينها لم يستطيعوا الصمود و تم دحر المتمردين حسب قوله ومطاردتهم و استئصالهم بحد السيف، و ذكر أنه لما جاء سكان أولاد صالح لنجدتهم متسلقين جبل متانو تحت نيران كلنت تحصدهم حصدا، وتم القضاء عليهم عن قرب لطعن لحراب وهم يصلون إلى القمة، ففي كل مكان و بخاصة في منحدرات متانو، بوعمدل، أولاد عيسى، كان الميدان مغطى بجثث قتلاهم وجرحاهم...²⁶.

وقد خسر سكان المنطقة علفة في معركة متانو خسائر بشرية كبيرة، و حسب مليذكر لويس رين سقط مئات القتلى و الجرحى، و ذكر أنهم انتظروا ليومي 26 و 27 ماي كي يسلموا أنفسهم لكن لم تيهملية عشيرة، في حين توجه سي عزيز و حنديل الذين كانوا في بوز إلى منطقة بني فوغال في جيحل²⁷، و اعتبر للثورخ يحي بوعزيز أن المعارك التي خاضها سي عزيز خلال شهر ماي و جوان 1871 في عموشة و بوز كلنت ' تجيبة قلسية و امتحا عسيرا '، فقد فشل في لستمالة عائلات مولية و متعلونة مع الإدارة الاستعمارية في أولاد بت و الدهامشة و سطيف، وكانوا خصوم لاه و لعموشة و أولاد صالح و بوز الذين تحالفوا معه، كما أنه لم يكن على استعداد م لخوض غمار

بينما لا تمكن العدو من استغلالها الذي ألف النحف على الحال المكشوف، وهذا جعل قوات العدو الفرنسي تحسب ألف حساب قبل محاولة التقدم للقضاء على المقاومة و احتلال مراكزها المنيعه، و قد اكتسبت المقاومة تكتيكات حربية مجربة مستفيدة من نتائجها الحربية الايجلية حيث جعلت العدو يحجم عن التقدم ولمدة طويلة، و كثير للمني هزائم فادحة عجز معها حتى على الانسحاب المنظم و التراجع للخلف.

وفي يوم 20 ماي تحركت قوات الجيش الفرنسي بقوة هائلة و سيطرت على قمم ومرتفعات القباب التي كلنت تعرف سم ثنية الغنم، و هي مكان استراتيجي يمكن من السيطرة على عموشة و بوز و قبيلة الدهامشة (عين الكبيرة حاليا)، و وقعت معركة قادها سي عزيز و بوزمراق²⁴ خسرت فيه عموشة العليل من فرسانها، و سيطر الفرنسيون على المنحدرات المؤدية إلى بوز، و في اليوم الموالي استسلم سكان عين الكبيرة، و بقي لهم التحكم في عموشة و أولاد صالح.

و في خلال يوم 22 ماي سيطر الجيش الفرنسي على القرقور (سيدي موسى حاليا) و توجه نحو عين السلطان و التي تعرف لما علي حاليا، و حاول سكانها لبدعهم من سكان تقربوست و وادي البارد و غرب بوز الحدم التقدم الفرنسي، و لم تتوقف نيرانهم إلا لما استقرت فرق القناصة الفرنسية في جبل متانو الذي كان هدفهم الأسلسي، و نصبوا معسكرا لهم في سفحه، و رغم مقتل حندي لهم إلا أنهم أحكموا السيطرة عليه إحكما شديدا، و في اليوم الموالي شرعت قوات الهاة الفرنسية و فرقة القومية لتقدم للاستيلاء على الموقع الذي

الحرب، فكانت تعوزه الأسلحة التي لم يوفرها للشوار لكمية الكلفة، ولم يضبط خطة عسكرية محكمة، و اكتفى فقط بـ الحماس للديني في صفوف أتباعه و سمعة أبيه الشيخ الحداد للصيت و الشهرة، و لكن ذلك لم يغنيه في الأمر شيء²⁸.

وما تحفظه الذاكرة الشعبية محليا عن ثورة 1871 في عموشة التي قادها سي عزيز بن الشيخ الحداد، أن للناس أصبحوا يسمون سنة 1871 سم ' عام عزيز ' و كأنهم يؤرخون بهذا للعام، و يذكر من علشوا سنوات العشرينات و الثلاثينات من القرن 20 أنهم كانوا يعثرون على الرصاصات التي استخدمت في هذه الثورة والتي كانت مصنوعة محليا تشبه حبة البلوط تملأ، و يسمونها بوزلكور، و يذكر سي عزيز في مذكرته أن من القياد الذي ساعدوا المقراني في المحوم على برج بوعرييج من منطقة عموشة القليد دهمان بن علاق الذي أرسل أخاه سي السعيد بن علاق لدعم المقراني²⁹.

وكان الشيخ الحداد كما أشر لأنه لستجد لبيوت الدينية المعروفة ولا سيما لتباع الرحمانية التي كان من روادها، ومن هذه البيوت بيت عبلشة المكي والذي شارك بفعالية في هذه الانتفاضة بشهادة الفرنسي

(Bugeja M. Manuel)

³⁰ فأسر فرد منها وهو أحمد في سجن قسنطينة ومات فيه، و لا ننسى سي الحودي أحد المرابطين و الأعيان الذين شاركوا في معركة مرتفعات الرقاب، و قد أصيب حسب أحد أحفاده برصاصة بقيت في جسمه عدة سنوات قبل انتزاعها من قبل أحد الجراحين، و لا تزال علة لطرش تتذكر مقتل حدهم أحمد لمشاركته

في انتفاضة سي عزيز، و يروي الشيخ يوسف كبور إصابة حد أبيه في معركة متان و مصادرة الإدارة الفرنسية لأرضهم عقب انتهاء ثورة المقراني و منحت للمعمر بيار ألكسندر ' Bruyer Alexandre ' لما تم سيس القرى الاستيطانية في عموشة و ثنية الطين³¹.

و نستخلص أن الانتفاضة الكبيرة التي تبناها المقراني و دعمه الشيخ الحداد، و قادها في عموشة لبنه سي عزيز حيث امتدت إلى مناطق أوسع مثل عرون و جحل و فرحية، و قد جمع سي عزيز حولها قوات مقاومة عسكرية في عموشة، و من تلك المدلش المختلفة و الرغبة في المقاومة و الجهاد جرت معركة شهيرة ممتدة في جبل متان، و لستعان خلالها بسكان أولاد صالح (وادي المبارد) و الذين أبدوا مقاومة عنيفة لعترف بها العدو، و رغم محدودية النجاح في هلافان الاحتلال الفرنسي كان يحجم عن التقدم و لا يتحرك إلا بخوف و حذر.

و من عادة الاستعمار كما هو معروف أنه يعمل كل زحف على المقاومات الشعبية من غير أن يحسم أمره في توقف المقاومات كان يلجأ إلى العقوت الجماعية متمثلة في اغتصاب الأراضي و مصادرها من مالكيها و انتزاعها من أهاليها الشرعيين، فيقدمها لقمة صائغة لمختلف المعمرين القادمين من أورو، و الذين أصبحوا فيما بعد و كأنهم أسياد وملاك حقيقيين، وهو ما ذكره ' Manuel Bugeja ' قائلا: " بعد قرد 1871، فقدت قبيلة عموشة حزم أراضيها التي ألحقت بمصالح الاستيطان و تم الترخيص نشاء القرية الفرنسية بعموشة، للمزارع الفرنسية بثنية الطين، و الضيقة الفرنسية بتيزي نبشار أسفل جبل قيتونت³².

و بعد كل هذا فإن الاستعمار الفرنسي لم يتوقف عندها هذا الحبل شر قمعه للعدواني لفئات المجتمع على اختلاف دراجاتهم في الخطورة في نظر الاستعمار، لأن المطلوبين لليممنهم من اعتصم لجال في صورة عصيان و خروج عن للقانون الفرنسي، وكان إذا عجز عن اعتقال هذا الصنف من الخارجين عليه كان خذمن وجد من أقاربهم و إخوانهم مكانهم للزج بهم في المنفى و السجون و أحياناً الإعدام وكل هذه الوقائع المذكورة تمت في سنة 1871.

و رغم قسوته على قمع الانتفاضة العلمية التي وقعت و مقتل قلئدها المقراني، فإن الثورات الشعبية تواصلت في ربوع الوطن لم يكن للاستعمار تعطيلها كما عبر عنها البشير الإبراهيمي بقوله: "وما زالت للثورات المحلية تتعاقب إلى عهد قريب، ففي مقاطعة قسنطينة وحدها يسجل للتاريخ ثورة قريبنا الشيخ سعد اللباني، و ثورة للعامري، و ثور قبوزن، و ثورة الزعاطشة، و ثور قبني سليمان، و ثورة عموشة ... و غيرهما، حتى ليحسب للؤرخ أن في كل قمة موقعها للثورة، و لكن تلك للثورات لم تجاوز أخبارها مناطقها المحدودة، و غطت عليها صبغة ذلك الوقت وهي الانقطاع للثامبين غرب للعرب و شرقهم، فلم يعرف عنها شيء، و لم ترزق الأعلام المدونة فطاف عليها طائف النسيان حتى عند أحفاد اللثائرين و أبنائهم و أ واحد منهم، و لقد أدركت العجائز لايؤرخن للزواج و الموليد و الوفيات إلا بتلك للثورات كما كان العرب يفعلون" ³³.

جيش عموشة: تاريخ عصاة النظام الاستعماري

عرفت عموشة مقاومات فردية مع نهلية

للقرون 19 م، و اعتبرت استمراراً للمقاومات الشعبية و ثورة 1871، و التي شارك فيها سكان المنطقة على غرار للمناطق المحاورة، و لقد بقيت جذوة المقاومة في نفوس الرجال خاصة، و تتحذر للروح الثوبية في نفوسهم و التي لانفتهم طوال الحقبة الاستعمارية، و قد أطلق عليهم الفرنسيون تسمية العصاة 'Les Bandis' أو الخارجون عن القانون و عرفت أعمالهم في الكتات الفرنسية 'Les Banditisme' أي اللصوصية ³⁴.

و لعل خروج هؤلاء عن القانون الفرنسي و عصيانهم ليس مرده فقد الانحراف في السلوك بل كره النظام الاستعماري، فقد ينالون أحياناً من الموالين للنظام الاستعماري سواء كانوا أوروبيين من العمرين أو جنائرين مؤطرين في الإدارة الفرنسية و مصالحها، كالقياد و حولشيم من خوجة و حراس الغات و جباة الضرائب، و هذا لما تبالغ هذه الفئات في التعسف و الاضطهاد كما يعطي هذه الجماعات المتمردة لدى الأهالي صفة البطولة و التشفي في النظام الاستعماري الظالم تصل في بعض الأحيان إلى درجة الانتفاضة و الثورة عليه.

ولو كانت صورتهم هؤلاء هي التمرد على القانون الفرنسي السائد، و التحرر من الالتزمات القانونية السائدة في تلك للفترة، فإن ولقع الأمر أنه يغلب عليهم طابع الطغيان و للعدوان على حرات للناس، من جهة فهم يعيشون أحرار من العقو تالتي تلاحقهم من حراء المخللفات، و من جهة أخرى يفرضون مواقفهم و أغراضهم على مجتمع الأهالي، فيرغمونهم على تقبل آرائهم و مطالبهم التي تضمن لهم المعيشة و السيطرة على الآخرين ³⁵.

غير أن ما يؤخذ على هذه الجماعات التي عوز أن تقتصر على معاداة الحكم الاستعماري فإنها كثيرًا ما عارس هي نفسها الظلم الذي كلنت تلوثهم من عملاء الاستعمار الفرنسي، و تختلف مواقفهم من شخص إلى آخر، فقد تتصف أعمالهم لمقاومة المشرقة، في حين عارس آخرون ارتكبت إجرامية تصل أحيانًا إلى القتل للأجور في حق الخصوم، فينتقم خصم على خصمه استعمال أو لاستخدام هذا الصنف الذي تطاوعه نفسه على قتل شخص ليس هو خصمه ذلتيا و لكن بمجرد أن يتلقى أجرة معينة لممارسة القتل³⁶.

وكان منهم من كان دلفعه مجرد النهب و السلب و الاعتداء على الحرمات حسبما تليه عليهم أهواؤهم و غريزتهم، فينهبون المحاصيل الزراعية كالقمح و الشعير عندما تدعوهم حاجتهم إلى ذلك، وكذلك في بعض الأحيان خذون للناس كسبا مؤقتة، وهذا الصنف يعتبر قليلا، وهؤلاء يشكلون جماعات متوافقون على اقتسام تلك الغنائم المنهوبة، و لا يهمهم الأمر الاستعمار الفرنسي أو الظلم و للعدوان، و إنما يهمهم السلب و الاستفادة مما اغتصبوه، و يصنفون في فئة الحرامية، و أطلق عليهم محليا لسم 'السرا' حتى قيل في المثل الشعبي 'شيء الحرام كلو السرا'، وقد وردت روايات كثيرة عن هؤلاء، و لشتهر منهم نحو وحم من أولاد عيسى و بوسكين من أولاد مسالي و حمزة العبادوني و عبد عزوق من أولاد عزوز و بوقندولة من بور³⁷.

الأغا الحناشي و نفي أفراد من جيش عموشة إلى كاليدونيا
أحمد الحناشي³⁸ هو من قدماء الحارين

قضى مدة 24 سنة في خدمة الجيش الفرنسي، قدّم لفرنسا كل ما يملك من طلقة وقدرات فتّم ترقّيته إلى رتبة ملازم، شارك في الحرب العالمية الأولى في الجبهات الألمانية بفرنسا، و لم يغادر ساحة القتال إلا و هو مجروح سنة 1917، فقد تعرض للإصابة بمرات عدة، و لُثني عليه مقدمة الجيش الفرنسي و أوصوا به خيرا نتيجة إخلاصه و وفائه لفرنسا، و جاء في رسالة بعثت لرئيس دائرة سطيف جاء فيها: "سيغادر الضابط أحمد الحناشي بعد مدة 24 سنة في خدمة الجيش الفرنسي، و كان خلالها مثالا للأهلي الضابط و الرائع في الطيبة، و لانه يستحق منا النيلشين و الثقة الكاملة لخدمته العسكرية"، فقد ل أعلى وسام تمنحه فرنسا وهو 'Légion d'honneur' فاعتبر من رجال فرنسا و أعيانها من الأهالي³⁹.

وعين الأغا الحناشي قليد تقيطوننت سنة 1917 خصيصا لقمع أي نوع من النشاط التمردى المعادي نظرا لكفائته و ميولاته العسكرية، و المدة التي قضاها في الجيش الفرنسي كمرتزق عسكري و لتالي فقد قام بدوره للمنوط به، متمثلا في ملاحقة أي حركة يبدو عليها التمرد، فمن الأدوار الأسلسية التي قام بها الحناشي في بداية توليه منصب الأغالته لاستعمل حيلة شيطانية و دهاء منقطع النظر في التخلص من جيش عموشة و الحارين عن القانون الفرنسي.

ففيروى أنه نصّب لهم مكيدة محكمة، و كانت كما يلي: أنه كلف أحد الأعيان المتوفين و الأغنياء المعروفين ن يقوم استدراج الأفراد المتمردين على النظام الاستعماري بدعوتهم إلى تناول العشاء عنده، فأراد أن يتظاهر بمظهرين

يوهمهم ظهار التودد لهم لنيل السلامة، و مظهر
ني يوههم نه صديقاهم و معترفا بشجاعتهم
و أحقيتهم بنيل هذه المكاسب ما دامت أعمالهم
ومواقفهم أعمالا بطولية منلثة للاستعمار
الفرنسي، و لتالي جلعتة الحيلة بدعمهم
توجهات الآغا الحنلشي، فوقع أغلب أفراد هذه
الجماعة المتمردة في للفخ المحكم، حيث لستقروا
في بيت هذا الشخص و كلهم ثقة و أمان، و
بينما كانوا يتناولون العشاء الذي كان غنيا، و
وفر لهم حول من الغبطة و الراحة الذي هم في
حاجة إليه⁴⁰.

كان قد نظم اتصلا سر عن طريق
بعض أعماله لشرف عليه الآغا حنلشي طبعاً،
متصلاً برجال الدرك الفرنسي (الجنديمة) و لم
تتفطن الجماعة من الغفلة التي وقعوا فيها إلا و
تفاجؤوا بحصار مسلح و محكم يحيط لدار
بصورة لا تمكنهم من الفرار للناجح أو للدفاع
المطلوب، و لم يبق لهم إلا الاستسلام الحتمي أو
الموت، فاستسلموا و كان عددهم حسب
الروا ت أربعة عشرة شخصا، و أخذوا مسلحين
و نصبت لهم محكمة عسكرية و حكم عليهم
لمؤبد، و الذي تحول إلى النفي إلى كليلدونيا، و
هذا النوع من النفي لا يقل في خطورته عن
الإعدام أو السجن مدى الحياة، إذ أغلبهم قد
توفي في المنفى و لم يرجع منهم إلا أفراداً قليل
بعد عقود من الزمن، و الراجعون كانوا كبار
السن، حيث توفوا بعد مدة قليلة من العودة و
نذكر منهم عبد رهنون من الثنية الطين، و
عمار دواجي من تيزي نشار.

و الموقع أن هذا الإجراء الذي وقع
على هؤلاء المنتمين إلى حيش عموشة كان
معروفاً من الاستعمار الفرنسي، لأن العملية

كانت تتم بنفس الشيء في مناطق أخرى خاصة
عصاة الاستعمار في مناطق الأوراس و القبائل،
و هكذا حقق الآغا الحناشي للسلطات الفرنسية
ما كان مرجوا منه متياز، وهو تحقيق الهدوء و
السلام للمعمرين و النظام الاستعماري بصفة
علمة، و أصبح الآغا الحنلشي متحكماً في زمام
الأمر لفترة زمنية، حيث كان يضرب به المثل في
الصرامة، و محققاً هيبة السلطة الاستعماري قلدى
الأهالي و المجتمع المحلي لو إلى حين⁴¹.

في تحدي الآغا الحناشي:

تمكن من الدفع لعشرات إلى المنفى،
و ما عرف عن سياسته أنه كان يتصف لصرامة
و الحدد في تنفيذ قراراته الردعية، و قد شترط
على السلطات التي عينته ن خذوا بكل ما
يراه في حق من كان مشوشاً، و يقال أنه كان
يختار ضحا ه أو ضحا ظلمه و تعسفهم
لبناء المجتمع المحلي الذين تظهر منهم ظواهر
الأنفة و عزلة النفس، و صفات مرموقة قلدى
الشعب كإنسان يتمتع بحد معتبر من الثقافة و
الدين، أو تتمثل فيه قيادة ما.

و من مولف الآغا الحنلشي السيئة أنه
كان يستفز كل شخص تبدو عليه العزة، و ذات
يوم كان شخص قد توسم فيه للعزة و طلب منه
القليد أن يقترب منه، و هذا كي يعطيه الصفة
المنلة حتى يتعلم - حسب مفهوم القليد -
كيف يخفض رأسه أمام حضرته، لكن الشخص
كمليروى أنه كما تعود بحال ذلك الزمان أن
يحملوا سكيناً (بوسعادي) معلقاً في حزامه
فلاحظ القليد سحتة التي اصفرت كلها قشر
الرمان، و تقدم بخطوات منه وقال الرجل كلمته
المشهورة " مرحبا كليلدونيا "⁴² فاصدله بذلك
الرد على أي فعل يقدم عليه القليد و لا يهمه

فرض السيطرة على المنطقة إلا بعد ثورة المقراني سنة 1871، و رغم ذلك استمرت بشكل آخر خلال فترة نهاية للقرن 19 م وبداية للقرن 20 م، أو ما عرف باسم مقاومة 'عصاة الشرف'، في شكل أفراد و جماعات و ققوا في وجه الاستعمار الفرنسي، و استمر النضال في فترة الحركة الوطنية، و للثورة التحريرية التي قد لها السكان النفس و النفيس.

- الهوامش:

¹ M. Manuel Bugeja : Monographie de la commune de Takitount, deuxième partie, p.479 .

² حمدان خويحة: للمرأة، تقديم و تعريب و تحقيق، العربي للزيري، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982. ص. 204.

³ شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة و قدم له و علّق عليه أبو القاسم سعد ، للدار التونسية للنشر، تونس، ص ص 58، 62.

⁴ يذكر أحمد ي في مذكرته أنه بعد انهيار المقاومة في سيدي فرج و سطوا و التي شارك فيها غادر الجزائر تجاه قسنطينة، و في طريقه مر على لعوامر و هي قرية عموشة، أنظر: العربي للزيري: مذكرات أحمد ي و حمدان خويحة و بوضربة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص. 17.

⁵ حلول مجلس أقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص. 48 - 54.

⁶ M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.480.

⁷ Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie, T , Année 1899,

النفى إلى كليلدونيا، و عرف بتجنيته العسكرية أن الرجل عازم على ضربه لسكين. مجرد أن يتلقى الصفحة منه، و فحاة در القليلد قوله: "توقف هناك و لا تقترب"، و دى على أحد أعوانه: " فلان فلان أعط لهذا الرجل المتسول و العرن كيسا من السميد، و أعطه أربعة دوروكي يشتري الصابون حتى يغسل جسمه من الروائح الكريهة " ⁴³.

وقد شاع بصورة علمية نشاط هذه الجماعات ' جيش عموشة ' أو بصفة فردية على غرار حمزة و مسعود العموشي و المدعو بوسكين وغيرهم كثير في المنطقة كملها و حتى في خارجها، فقد شمل نشاطهم جزءا كبيرا من ولاية سطيف الحالية، و لا يزال نشاط هؤلاء إلى اليوم مضربا للمثل، و لمناسبة فإن السعيد معماش المدعو السعيد لأعراب و هو أحد ضباط جيش التحرير الوطني في الثورة الجزائرية خطب في سكان عموشة في أوئل للثورة، و هو يبيد ليقاظ الهمم و بث الشجاعة في نفوس مواطني المنطقة للانخراط بقوة في للثورة و دعمها، فذكرهم بما كان لدى أسلافهم من جرأة و مقدرة في مقاومة و مواجهة المحتل الفرنسي و تحدي مصاعب الحياة، و سرد عليهم قصص التمرد على للقانون الفرنسي السائد.

خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره نستخلص أن مقاومة منطقة عموشة للاحتلال الفرنسي كانت حرة مستمرة ضد المستعمر، الذي وحد صعوبات كبيرة في التوغل بفعل المقاومة العنيدة و المستميتة، و هذا عززهم بصعوبة المهمة التي أسندت لهم لإحكام القبضة على عموشة، و التي لم يستطع جيش الاحتلال القضاء عليها نهائيا و

أ كان قليد فيبني عيدال و بيغة، وسي عزيز قليد في عموشة في ملحقة قيتونت وفارس فيلق الشرف، و في سنة 1869 عندما عملت السلطات الفرنسية على تجميع الرحمانية وعينت بن علي شريف شاعا غضب عزيز و قدم استقالته، أنظر:

Abderrahmane Bensadoune: Seddouk Ouffella, village de Cheikh Ahaddad, mercredi 3 octobre 2007.

¹⁹ يحي بوعزيز: ثورة 1871 (دور عائلي المقراي والحداد)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص.240.

²⁰ لويس رين : ريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، دار الكتاب الرائد، الجزائر، مسعود حاج مسعود، الجزائر، 2013، ص.575.

²¹ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص.243، 246.

²² لويس رين: المصدر السابق، ص.575.

²³ المصدر نفسه، ص.581، 582.

²⁴ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص.250.

²⁵ لويس رين: المصدر السابق، ص.585، 586.

²⁶ المصدر نفسه، ص.585.

²⁷ المصدر نفسه، ص.587.

²⁸ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص.256.

²⁹ يحي بوعزيز: وصا الشيخ الحداد ومذكرات لبنه سي عزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص.122.

³⁰ M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.476.

³¹ Maurice Villard et Yves Bassard: Op-cit, p.254.

³² M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.484.

³³ البشير الإبراهيمي: كلمة في الاحتفال بيوم الجزائر بجمعية الشبان المسلمين لقاهرة عام 1958.

imprimerie Pierre Fontana et Cie, Alger, 1901, p.155.

⁸ M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.481.

⁹ Ibid, p.481.

¹⁰ A.Sicard : Pratique médicales, superstitions et légendes de la commune de Takitount, in Revue Africaine, v 55année 1911, jourdan libraire, Alger, 1912, p 61 62.

¹¹ M. Manuel Bugeja: Les Villages des Hauts plateaux sétifiens, T 2, amicale des Hauts plateaux de Sétif, Saint-Estève, 2002, p.480.

¹² Maurice Villard et Yves Bassard: Op - cit, p.235.

¹³ يعطي المؤرخ يحي بوعزيز الكثير من الأسباب التي دفعت سكان منطقة للبابور علمة للانتفاضة ضد الفرنسيين لاسيما إضعاف الأسر الكبيرة التي كلنت متنفذة منذ عهد الأتراك، وكذلك محاولة منع الأهالي من استغلال الفلين من خلال منح امتياز الاستثمار فيه لشركة فرنسية، أنظر: يحي بوعزيز نشورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و القرن العشرين، ط 1، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، ص.113، 114.

¹⁴ M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.482.

¹⁵ Ibid, p.482.

¹⁶ Ibid, p.483.

¹⁷ M. Manuel Bugeja: Op - cit, p.483.

¹⁸ سي عزيز الابن الأصغر للشيخ الحداد، كان من للقادة السيلبيين و العسكريين في ثورة 1871، ولد حوالي سنة 1842 بصدوق، و بفعل انتشار الطريقة الرحمانية شغل ابنا الشيخ الحداد وظائف سيلية مؤثرة،

³⁴ من هذه الكتا تنذكر كتاب الذي ظهر سنة 1895 لمؤلفه:

Emile Violard: Bendits de kabyle, hors la loi, édition grand Alger livres, Alger, 2004, pp.207-212.

³⁵ عمر عباشة: مخطوط عن المجتمع و أحواله في عموشة خلال الحقبة الاستعمارية.

³⁶ المصدر نفسه.

³⁷ المصدر نفسه.

³⁸ من مولاي البرج بوعرييج سنة 1872، تحصل على العلي من الأوسعة و النيلشين و التهاني العسكرية من كبار قادة الجيش الفرنسي، كما عمل قاضيا مسلما في محكمة بلدية تقيطونت المختلطة بصفة دائمة متوفي سنة 1935 داخل مرحاض في خراطة، خلفه عبد الحميد بن علاق سنة 1936.

³⁹ Jeanne et André Brochier : Le dictionnaire des personnalités passées et contemporaines (Livre d'or de l'Algérie), Editions Baconneir frères, Alger, 1937, p.163.

⁴⁰ عمر عباشة: مخطوط عن المجتمع و أحواله في عموشة خلال الحقبة الاستعمارية

⁴¹ المصدر نفسه.

⁴² المصدر نفسه.

⁴³ المصدر نفسه.